قراءة خاشعة لأم القرآن

كتبها الدكتور
بهاء الدين عبد الرحمن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قراءة خاشعة لأم القرآن

كتبها

الدكتور بهاء الدين عبد الرحمن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٢٧,٦
٢٦٩ ع
عبد الرحمن ، بهاء الدين عبد الوهاب
قراءة خاشعة لأم القرآن ، بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمن .ـ ط ١ .ـ الرياض : دار طويق ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م
٣٠ ص ؛ ١٢ X ١٧ سم
ردمك ٤ - ١٩ - ٦٧١ - ٩٩٦٠
١ . القرآن - سورة الفاتحة - تفسير
أ. العنوان

رقم الإيداع : ٠٣٤٧ / ١٤
ردمك : ٤ - ١٩ - ٦٧١ - ٩٩٦٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

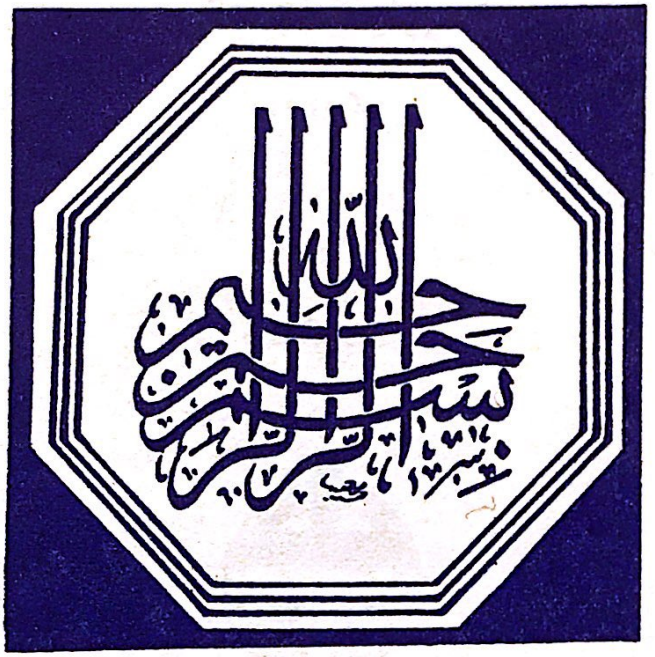

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ

الناشـــر

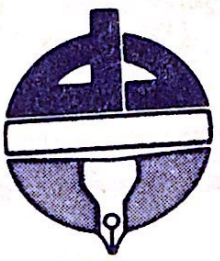

دار طويق للنشر والتوزيع

الناصرية - شمال مبنى وزارة الخارجية

ص. ب ٣١٩٣٤

الرياض ١١٤١٨

هاتف: ٤٠٤٢٥٥٥

فاكس: ٤٠٣٤٢٣٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دعاء

اللهم إن طرفي ليرتد حسيراً كلما تطلعت إلى وضع تفسير لكتابك، فتقبل مني إلهي هذه القراءة لفاتحة كتابك، واجعلها فاتحة لقراءة جميع السور في قرآنك. آمين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلهي لك الحمد، وعليك مني الثناء، ولأنَّ حمدي عن بلوغ ما ينبغي لك من الحمد قاصر، وعجزي عن إحصاء الثناء عليك ظاهر، أقول: لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، راجياً أن تُعِدَّ لي من الثواب ما أعددته لأول من علَّمْتَه أن يحمدك على هذا الوجه من عبيدك فألقاه يوم ألقاك[1].

وأدعوك إلهي أن تصلي وتسلم على مَنْ هو أحبُّ إليَّ من نفسي والناس أجمعين سيدي محمد رسولك المبعوث

---

(١) ينظر حديث العبد الذي حمد الله على هذا الوجه وما جرى للملكين عندما سمعاه ص ٢٢ - ٢٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن اقتدى به من عبادك المؤمنين إلى يوم الدين.

وأدعوك إلهي أن تفتح علي من بركات نورك وعلمك ما يجعلني بمنأىً عن ظلمات الجهل، وعمايات العجْب والغرور، فما آتيتني من علم فضلٌ منك وإحسانٌ لم أوتَهُ بحولٍ مني ولا طَوْل، وما يبدر مني من خطأ أو خطل فهو دليلٌ على أن الأصلَ فيَّ هو الجهل، وأن العلم منك سبحانك فضلٌ ونعم الفضل.

أما بعد فإن سورة الفاتحة من السور الجليلة التي اختصها الله من بين سور كتابه الكريم القرآن العظيم بأن جعلها السورة التي يجب تلاوتها في كل ركعة نركعها في الصلاة، وجعل فيها من الأسرار ما يجعل الإنسان يزداد لها حباً ومعها تآلفاً مع كثرة التكرار، وهذا مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الذي لا يبلى ولا يُمل مهما أعاد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإنسان قراءته، بل كلما أكثر الإنسان من قراءة القرآن ازدادت رغبته في تلاوته، واشتد حبه لها حتى يصل إلى درجة الهيام فيصبح القرآن هجيراه، ولا يجد راحته إلا مع القرآن.

وإذا كان القرآن العظيم هذا شأنه فإن فاتحته تظهر هذه السمة في أجلى مظهر وأسناه، فمَنْ منّا لا يجد هذه السورة بين حنايا نفسه، ومن منا لا يشعر حين يقرؤها بأنها تنسرب بين خلايا جسمه، حتى يحس أن كل خلية من خلاياه تهتز لها، وترددها خاشعة متذللة خاضعة.

ومن منّا لا يحس حين يتلوها بالأنس، وبالأمن والطمأنينة، ونزول السكينة، فهي الأنسُ في الخلوة، والأمن في الفزعة، والفَرَجُ في الشدّة.

ومن منّا لم يقشعر جلده وهو يسمعها منصتاً خلف الإمام بمقاطعها وفواصلها التي يقف معها الشعرُ ابتداء

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالصفة المعظمة (رب العالمين) وانتهاء بـ (مالك يوم الدين) ثم يلين الجلد، وتتذلل الجوارح، وتنحدر الدموع إقراراً بالعبودية، وتضرعاً في طلب العون والهداية من البارىء العظيم.

ولعظَم شأن هذه السورة وضرورة تدبر معانيها ونحن نقرؤها في صلواتنا، رأيتُ أن أبرز هذه المعاني بحيث يمكن الإحاطة بها وتذكرها في أثناء التلاوة في الصلاة.

ومرجعاي الرئيسان في هذه الرسالة الجامع لأحكام القرآن للقرطبي والكشاف للزمخشري، ومرجعي اللغوي هو الصحاح للجوهري، وما وجد خارجاً عن هذه المراجع الثلاث فهو اجتهاد اجتهدته، أدعو الله عز وجل أن يثيبني عليه أجرين.. إنه نعم المولى القريب المجيب.

***

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمّ القرآن

روى الترمذي عن أبيّ بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني..»

وسُميت الفاتحة أمّ القرآن لأنها أوله، وأول الشيء يُسمى أمّاً، ولذلك سميت مكة أمّ القرى لأن الأرض دحيت منها، وسميت الوالدة أمّاً لأن النسل منها، وسميت الأرض أمّاً لأن الإنسان خلق منها.

وربما تكون سميت بأم القرآن لأنها تتضمن كليّاته التي يدور حولها، لأن أمّ الطريق معظمه، وأم الدماغ الجلدة التي تجمع الدماغ، وهي التي يقال لها أم الرأس، وأم النجوم المجرة، من حيث إنها مجتمعها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والكليات التي تضمنتها الفاتحة وعليها مدار القرآن

هي:

١- الثناء على الله عز وجل بما هو أهله من صفات الكمال والجلال، فهو وحده رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وحمد الله والثناء عليه بهذه الصفات لُباب توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

٢- تخصيصه سبحانه وتعالى وحده بالعبادة، والاعتراف والإقرار بالعجز، وطلبُ العون منه جل وعلا، وهذا لُباب توحيد الألوهية.

٣- الاعتراف بالجزاء، وما يستتبع هذا الاعتراف من رغبة في نوال الخير العميم في جنات النعيم، ورهبة من مساس الهول العظيم ومذاق العذاب الأليم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- التأسي بالذين أنعم الله عليهم من الأنبياء وأتباعهم، وتوقي سبيل الذين استحقوا غضب الله وأشياعهم.

اللهم اجعلنا من المثنين عليك بما أنت له أهل ياأهل الثناء والمجد، يارب العالمين ويارحمن ويارحيم أجرنا عذابك يوم الدين، وأدخلنا في رحمتك مع عبادك النبيين والشهداء والصالحين، فنحن عبيدك المقرُّون بربوبيتك وألوهيتك وأسمائك وصفاتك، المعترفون بعجزهم وتقصيرهم، المتبرئون من حولهم وقوتهم، طالبين العون منك، والاستقامة على سواء الصراط، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين. آمين.

***

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في رواق اللغة

لابد من المرور في هذا الرواق قبل الوصول إلى المدخل فابتداء القراءة، نتعرف من خلاله المعاني اللغوية لكلمات الفاتحة وما يلحق بها من الاستعاذة والبسملة والاختتام بآمين.

الاستعاذة: فالعياذ بالشيء هو الالتجاء إليه وطلب الحماية والوقاية منه.

ولفظ الجلالة(**الله**) علم للذات الإلهية المقدسة، ومَنْ قال باشتقاقها اختلفوا اختلافاً كبيراً.

والشيطان من الشيط بمعنى احتدام الغضب، أو من الشطن بمعنى الحبل أو البعد، وهذه المعاني كلها تصدق على إبليس أعاذنا الله من شيطه وبعده عن الحق وحبائله وأشطانه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والرجيم بمعنى المرجوم، وهو الذي يُرمى أو يقذف بشيء ما، وقد رُمي إبليس بلعنة الله.

البسملة: والاسم إما أن يكون من السموّ، حيث إنه رفعة للمسمى وشرف له، أو من الوسم بمعنى العلامة، فهو كالعلامة يميز المسمى عن غيره.

والرحمن والرحيم صفتان من صفات الله عزَّ وجلَّ مشتقتان من الرحمة، وهي الرقة والتعطف ومن ثَمَّ الإنعام، والرقة التي هي انفعال نفسي مستحيلة في حقه تعالى، فرحمته صفة له سبحانه، وأثرها إنعامه وتفضله على عباده بالغفران والثواب. والرحمن صفة مشبهة باسم الفاعل للمبالغة، والرحيم صيغة من صيغ مبالغة اسم الفاعل، والفرق بين الصفة المشبهة واسم الفاعل أنها تدل على صفة ثابتة في الموصوف بها، أما اسم الفاعل فيدل على صفة متجددة، وصيغة مبالغة اسم الفاعل تدل على

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صفة متجددة متكررة بكثرة، والرحمة صفة من صفات الله الثابتة، وهي أيضاً متجددة بالنسبة لعباده، فهو رحيم الأولين والآخرين ورحيم الإنس والجن والملائكة والعالمين، فرحمته متجددة لمخلوقاته آناً بعد آن.

الحمد: الحمد هو الثناء والوصف بالجميل، وهو أعم من الشكر، لأن الشكر يكون مقابل نعمة مخصوصة، وهو خلاف الذم قريب من المدح، إلا أن المدح يكون ثناء على خلال معينة مكتسبة في الممدوح يظهرها المادح بكلامه، وليس كذلك الحمد الذي هو ثناء على المحمود بمجموع خصاله الثابتة الدائمة، وشكر له على إنعامه وآلائه السابغة.

الرب: هو المالك والمربي الذي يتعهد المربوب بالرعاية والعناية، أو السيد الذي يتولى المسود بالتوجيه والوصاية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العالمين: جمع عالم، وهو اسم يطلق على كل مجموعة متجانسة من الخلائق، فيقال عالم الإنس وعالم الجن، وعالم الملائكة، وعالم الحيوان، وعالم الجماد.

المالك: هو المتصرف فيما يملك، والمَلِكُ هو صاحب السلطة على جماعة من الناس.

يوم الدين: الدين هنا بمعنى الجزاء والحساب، ودان بمعنى جازى.

نعبد: نخضع ونتذلل ونطيع.

نستعين: نطلب العون.

اهدنا: الهداية أو الهدى خلاف الضلال، وهي درجات، فهناك الهداية التكوينية، وهي هداية الخلائق إلى ما به استمرار وجودها، والهداية الإرشادية، وهي نصب البراهين التي هي بمثابة أعلام على الطريق

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومنارات، والهداية التوفيقية، وهي التي خص بها الله عباده الباحثين عن الحق المجتهدين في الوصول إليه.

الصراط: الطريق، وأصله السراط من سرط بمعنى بَلَعَ لأن الطريق يبتلع الماشين فيه.

المستقيم: المعتدل الذي لا عِوَج فيه.

أنعمت: تفضلت عليهم بالنَعم، والنعم هي الخيرات التي يتنعم بها الانسان أي تجعل حياته ناعمة لينة، وأفضل نعمة هي نعمة الإسلام.

المغضوب عليهم: هم اليهود، وكل من استحق غضب الله، والغضب انفعال نفسي يثيره أمر يضاد رغبة النفس أو يمنعها، ويترتب عليه الانتقام ممن أحدث ذلك الأمر، والله سبحانه وتعالى مُنَزَّه عن الانفعالات الجارية على الخلق، فغضبه صفة له سبحانه، أثرها انتقامه وعقوبته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الضالين: النصارى وكل من لم يهتد إلى الصراط المستقيم، والضلال درجات، وقد يسمى الباحث عن الحقيقة ضالاً قبل الاهتداء إليها، وعلى ذلك يفسر قوله تعالى: ﴿ ووجدك ضالاً فهدى﴾ ومصير الضلال الهلاك لذلك ربما سُمي الهالك ضالاً، والضال هالكاً.

آمين: معناه استجب للدعاء.

* * *

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المدخل

يمثل مدخل هذه القراءة شيئان: أولهما الاستعاذة والثاني البسملة.

١- **الاستعاذة**: أمر الله سبحانه وتعالى بالاستعاذة عند قراءة القرآن فقال عز وجل: ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ (١).

وللاستعاذة صيغ متعددة أشهرها (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وأشملها (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه).

وقد عُبّر عن الاستعاذة بالفعل المضارع(أعوذ) لأن فيه دلالة على الحال والاستقبال، ولأنه قريب في المعنى من اسم الفاعل (عائذ) فكأن المعنى، أنا عائذ بالله الآن ومستقبلاً.

واختيرت صفة الرجيم من بين صفات الشيطان الأخرى، لأن فيها جماع صفاته، فهو المرجوم باللعنة إلى

---

(١) الآية ٩٨ من سورة النحل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

يوم الدين، والرجم باللعنة كان نتيجة لاستكباره وغروره وحسده، والمرجوم حقير ذليل جدير بأن يُجافى ويُنبَذَ، وفي صفة (الرجيم) مراعاة للفاصلة في نهاية البسملة، أعنى صفة الله عز وجل (الرحيم).

ولأن هذا الرجيم يجري من بني آدم مجرى الدم لم يكن من سبيل إلى الخلاص من وسوسته وهمزه إلا باللجوء إلى الله عز وجل، والاحتماء به سبحانه وتعالى، وإخلاص الولاء له، ليردّ كيد الشيطان في نحره، ويقي المستعين به من نفخه وشره، وإذا أعاذنا الله من وسوسته عند قراءة القرآن سهل علينا تدبر معانيه، وإدراك أوامره ونواهيه.

اللهم إني أعوذ بك من هَمَزات الشياطين وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

بسم الله الرحمن الرحيم أبتدىء أو أفتتح القراءة، أو بسم الله الرحمن الرحيم ابتدائي أو افتتاحي، والباء هنا ليست للاستعانة، ولو قيل (بالله) لكانت الباء للاستعانة وكلمة (اسم) هنا ليست زائدة، بل مقصودة، والمعنى متبركاً بسم الله الرحمن الرحيم أبتدىء التلاوة، فالباء هنا للملابسة أو المعية، وفي الحديث (كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر) أي مقطوع الخير والبركة، فذكر اسم الله على أمر ما هو للتبرك وإكثار الخير، وفيه تقديس لله عز وجل وتمجيد له وتعظيم، وليس المراد منه طلب الاستعانة.

أما الباء في الاستعاذة فهي للاستعانة وذلك أننا عندما نقول أعوذ بالله فمعناه ألتجىء إلى الله مستعيناً به ليحميني.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والله هو الاسم الأعظم للذات الإلهية المقدسة على رأيٍ، وهو اسم مختص به سبحانه وتعالى، ولذلك ذكرت بعده الصفة المختصة به عز وجل وهي (الرحمن) فهذه الصفة لا يجوز وصف أحد من المخلوقات بها، بخلاف صفة الرحيم التي يجوز إطلاقها على غير الله عز وجل أيضاً.

وإذا كانت صفة (الرجيم) للشيطان منفرة تدعو إلى الفرار منه والابتعاد عنه فإن ذكر صفتي (الرحمن) و(الرحيم) لله عز وجل يدعو إلى الإقبال عليه سبحانه لطلب الرحمة والمغفرة، فبين الاستعانة والبسملة مقابلة من شأنها أن تجعل متدبرها مستعيذاً بالله عز وجل من الشيطان الرجيم في كل حالاته، ومقبلاً على الله سبحانه وتعالى طامعاً في رحمته وبركاته، متبركاً باسمه الأعظم ومفتتحاً به كلَّ أمر ذي بال في حياته.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قراءة الفاتحة

جعلتُ البسملة في المدخل ومن شاء جعلها في القراءة نفسها، فمن كان مذهبه أنها - أعني البسملة - ليست بآية من الفاتحة، وإنما هي للتبرك والفصل بين السور جعلها في المدخل، ومن ذهب إلى أنها آية من كل سورة جعلها في القراءة، ومذهبي أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة مبدوءة بها في القرآن، لكونها مكتوبة في المصحف، ولكني جعلتها في المدخل للمقابلة الموجودة بينها وبين الاستعاذة.

الحمد لله رب العالمين: ثناء من الله عز وجل على نفسه، وأمرٌ لنا وتعليم بحمده والثناء عليه بصفاته، وأين حمد البشر له سبحانه من ثنائه هو على نفسه، وأنّى للبشر بإحصاء الثناء عليه جلَّ وعلا، وقد ورد في الحديث أن عبداً من عباد الله قال: يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجهك وعظيم سلطانك. فعضلت بالملكين، فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى السماء، فقالا: ياربنا إن عبداً قال مقالة لا ندري كيف نكتبها. قال الله - وهو أعلم بما قال عبده -: ماذا قال عبدي؟ فقالا: يارب إنه قد قال: يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله لهما: اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها.

الحمد لله كلَّ الحمد، والحمد لله أزلاً وأبداً، هذا دلالة الجملة الاسمية (الحمد لله) فالألف واللام في (الحمد) للجنس ليستغرق جنس الحمد كله و(الحمد) مبتدأ خبره (ثابت لله) أي أن الحمد ثابت لله أزلاً وأبدًا، لا تعلق له بزمان من الأزمنة، ولذلك قيل أن ردَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام التحيةَ على ضيفه المكرمين من الملائكة كان من باب ردِّ التحية بأحسن منها، وذلك في قوله تعالى

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حكاية عنهم ﴿قالوا سلاماً قال سلامٌ﴾ (١) فتقدير سلام الملائكة: نسلم عليك سلاماً، فالجملة هنا فعلية، والجملة الفعلية تكون ذات ارتباط بزمن من الأزمنة الثلاثة، أما تقدير جواب سيدنا إبراهيم عليه السلام فهو: سلامٌ ثابت عليكم، فلم يرتبط سلامه بزمن معين، ومعلوم أن السلام الدائم الثابت أحسن من السلام الآني.

وفي قوله سبحانه(رب العالمين) إشعار للإنسان بأنه ليس وحيداً في هذا العالم، فثمة عوالم أخرى خلقها الله عز وجل، وعالم الإنس واحد من هذه العوالم، ولأن خالق هذه العوالم ربّ واحد هو الرحمن الرحيم يشعر المؤمن بالأنس والتآلف مع بقية العوالم.

والإنسان تحيط به الطبيعة، والطبيعة عالم أو عوالم مسخرة للإنسان بأمر الله، وما تسقط من ورقة ولا تتحرك

---

(١) الآية ٦٩ من سورة هود.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من ذرة في الطبيعة إلا بإذن رب العالمين الرحمن الرحيم، فنواميس هذه العوالم المسخرة للإنسان موضوعة على أنها رحمة من الله لهذه العوالم من جهة، وللإنسان من جهة أخرى، فما دام الإنسان في الدائرة التي أرادها له الله سبحانه وتعالى جنى من ثمار تلك الرحمة بقدر التزامه بالحدود المرسومة له، ولكن إذا تجاوز حدود ما أنزل الله إليه، وحدود الدائرة المرسومة له في هذه العوالم لم يأمن نزول النقمة بدلاً من جني النعمة.

وعلى هذا فليس في حس المسلم صراع مع الطبيعة وإنما يوجد تآلف وتعارف وتعاون بينه وبين الطبيعة، وإذا كان المسلم يحس بالتآلف ويسعى للتعارف مع الطبيعة حوله فإنه مع أخيه الإنسان أشد تآلفاً وتعارفاً وتعاوناً، فإذا كان أخوه الإنسان مثله مسلماً أحب له مثل ما يحب لنفسه بل آثره على نفسه، وأذا أحس بالتآلف والتعارف مع أخيه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإنسان، وشعر بمثل ذلك مع الطبيعة من حوله كُفي شر هذه الصراعات التي تعرقل سير البشرية نحو الخير الذي أراده الله سبحانه وتعالى لها، وجنى ثمار رحمته -سبحانه- التي وسعت كل شيء.

والذي يثني على الله عز وجل بهذا الوصف (رب العالمين) مقرّ بربوبيته سبحانه، فهو الذي يربّ العوالم كلها، وهو القائم عليها بعد أن خلقها، يمسكها من الزوال، ويتعهدها بالصون والإنماء، ويحيطها برحمته سبحانه وتعالى، فهو الرحمن الرحيم.

الرحمن الرحيم: صفتان جليلتان من صفاته سبحانه وتعالى، وكل صفاته جليلة، واسمان من أسمائه الحسنى ﴿قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾[1] يجعلان المؤمن يعيش في رحابة الرجاء وسعته

---

(١) الآية ١١٠ من سورة الإسراء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بعيداً عن ضيق اليأس ومُختَنقه، فكلا الوصفين مشتق من الرحمة على سبيل المبالغة، وجَدير بالمثني بهما على الله عز وجل ألا تساوره وساوس القنوط مهما احتلكَت من حوله الظروف، وتذاءبت عليه ريح العوادي والصروف.

مالك يوم الدين: هذه صفة رابعة نثني بها على الله عز وجل في معرض حمده، والله عز وجل مالك كل شيء ومَلِك كل شيء في الدنيا وفي الآخرة، فهو مالك الأيام كلها، فَلِمَ خُص يومُ الدين بأن جُعل مملوكاً لله عز وجل من دون سائر الأيام، والأيام كلها مملوكة له؟

لقد شاء عز وجل أن يُملّك بعض عبيده بعض مُلكه في هذه الحياة الدنيا، حتى إذا جاء يوم الدين لم يكن ثَمَّ مَلِك ولا مالك، فالملك يومئذ لله.

والمثني بهذه الصفة على الله عز وجل مقرّ باليوم الآخر حيث تخشع الأصوات وتعنو الوجوه للحي القيوم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذه الصفة تجعل الإنسان يشعر برهبة عظيمة وخوف من الله كبير، وتجعله يحس بالمسؤولية، فيوم الدين يعني يوم الجزاء، حيث يجد فيه الإنسان ما عمل من خير محضراً، وما عمل من سوء يودّ لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً.

وإذا كانت صفتا(الرحمن الرحيم) تجعلان المؤمن راجياً طامعاً فإن هذه الصفة تجعله خائفاً مترقباً، وبذلك يعيش بين الرجاء والخوف، فلا يطغى الرجاء بحيث يؤدي به إلى إهمال الفروض والواجبات فثَمَّ خوف رادع، ولا يطغى الخوف عليه بحيث يؤدي إلى شلل حياته فثَمَّ رجاء طامع.

إياك نعبد وإياك نستعين: خطاب مباشر مع الله عزّ وجلَّ رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وهل ثمة منزلة في الدنيا تعدل منزلة من يخاطب ربَّ الأرباب وملك الملوك مباشرة؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكأن منزلة المثني على الله عز وجل بصفاته المذكورة قد علت بما قدّم من حمد وثناء تضمن الاعتراف بربوبيته سبحانه والتصديق باليوم الآخر والرجاء في رحمة الله والخوف من عقابه حتى أصبح أهلاً لأن يخاطب الله عزَّ وجلَّ بضمير الخطاب المباشر (إياك نعبد) وفي هذا الانتقال من أسلوب الغيبة إلى أسلوب الخطاب الذي يسمى في علم البلاغة بالالتفات غيرُ ما ذكره الزمخشري من أنه تطرية لنشاط السامع وإيقاظ له للإصغاء للكلام أقول: فيه غيرُ ذلك أنه تعليم للعبد المؤمن بأن يقدم بين يدي مخاطبة الله عز وجل مباشرة الحمد والثناء عليه جل وعلا، وتمجيده، وتقديسه وتنزيهه، والإقرار بربوبيته والتصديق بوعده ووعيده، حتى إذا أحس بضعفه وعجزه وقلة حيلته وأن الأمر كله بيد ربه سبحانه ترقى إلى خطاب الله مباشرة واعترف أمامه بعبوديته وذله وطلب منه العون في كل أموره.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وقُدِّم الضمير (إياك) لتخصيص الله عز وجل بالعبادة وإفراده بالألوهية، فهو وحده الإله المستحق للعبادة، ومنه وحده يطلب المدد والعون، فبيده مقاليد السموات والأرض. ولم يقيد الفعل (نستعين) بمفعول معين لتكون الاستعانة مطلقة شاملة أمور الدين والدنيا.

واستخدمت صيغة الجمع في (نعبد) و (نستعين) إشعاراً بوحدة المسلمين وتآلفهم وتكاتفهم، وأنهم صف واحد، وإشارة إلى أن الأصل في الصلاة أن تؤدى جماعة، وأن المسلم و لو صلى منفرداً، دعا لنفسه ولجميع إخوانه المسلمين الذ ين يشاركونه في الإقرار بربوبية الله عز وجل وألوهيته والتصديق بوعده ووعيده. وقُدم الإقرار بالعبودية على طلب العون لأن العبادة غاية الوجود الإنساني، ولأن الذي أقر بربوبية الله عز وجل لابد أن يقر بألوهيته قبل أن يطلب منه العون، ولأن العبادة عامة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والاستعانة بالله نوع من أنواع العبادة، وللإشعار بأن تقديم العبادة سبب لاستجابة الدعاء وإرسال المدد، فضلاً عن مراعاة الفاصلة في قوله (مالك يوم الدين) قبل هذه الآية وقوله(الصراط المستقيم) بعدها.

اهدنا الصراط المستقيم: بعد الإقرار بألوهيته سبحانه وتعالى والتبرؤ من الحول والطَّول وطلب العون من رب العالمين، يأتي الإرشاد إلى أعظم طلب يطلبه المؤمن، وهو أن يهديه الله عز وجل صراطه المستقيم ويزيده هدى وثباتاً على هذا الصراط، وصراطه المستقيم هو دين الإسلام الذي من ابتغى غيره فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين.

إن المقر بربوبية الله عز وجل وألوهيته مهتدٍ هداه الله إلى صراطه المستقيم فما باله يطلب الهداية من الله عز وجل؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنه يقول (اهدنا الصراط) ولا يقول اهدنا إلى الصراط، وهذا يعني أنه ليس بخارج عن الصراط في الأصل، وإنما يريد أن يعصمه الله فلا يزيغ عن الصراط، وأن يزيده هدى وثباتاً، وأن يرشده إلى أفضل الوسائل في سلوك هذا الصراط، فهو صراط مستقيم ولكنه واسع لاحب، تختلف وسائل الذين يمشون فيه، فمنهم من يمشي ببطء، ومنهم من يمشي تتنازعه الأهواء نحو حواف الطريق حيث يبدأ الانحراف والعياذ بالله، ومنهم من يمشي مسرعاً بهمة ونشاط، كل بحسب ما آتاه الله من هداية وتوفيق إلى أن يلقوا ربهم.

صراط الذين أنعمت عليهم: تفصيل بعد إجمال، وفي التفصيل بعد الإجمال تأكيد على طلب الثبات على هذا الصراط، والذين أنعم الله عليهم هم الأنبياء والشهداء والصديقون والصالحون من عباد الله. أنعم الله عليهم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بهدايتهم صراطه المستقيم الذي يهديهم رضوان الله والنعيم الدائم المقيم، وينجيهم من عذاب يوم أليم، وهذا هو غاية الإنعام، وكل نعيم غير ذلك النعيم ظل زائل، والمنعَّمون فيه إن كانوا على غير هدى سرعان ما يدركون أنهم كانوا في الضلال وزيف الباطل.

غير المغضوب عليهم ولا الضالين: وصفٌ للذين أنعم الله عليهم، فهم ليسوا من الذين استحقوا غضب الله وانتقامه وعقابه، وليسوا من الذين ضلوا سواء السبيل، فكانوا مع إخوانهم المغضوب عليهم من الهالكين وفي الأذلين.

واستحق اليهود غضب الله بقتلهم الأنبياء وافترائهم الكذب عليهم وعصيانهم واعتدائهم وتعديهم حدود الله، وضل النصارى ما دعاهم إليه المسيح عليه السلام فادعوا أن المسيح ابن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فقُرنوا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مع إخوانهم اليهود، ولكن لما كان اليهود أشد عداوة للذين آمنوا من النصارى قدموا عليهم، فاليهود أولى بأن يبتعد عنهم، وإن كان الابتعاد عن الفريقين مطلوباً ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾(١).

ولم ينفع اليهود اسمهم ولا كونهم من قوم موسى عندما قتلوا الأنبياء وعصوا وافتروا، فقد استحقوا غضب الله، وكل من يعمل بعملهم يلحق بهم، وإن كانوا اسماً من المسلمين من قوم محمد ﷺ أعاذنا الله من كيدهم ومن اتباع سلوكهم.

ولم يُذكر فاعل الغضب كما ذكر فاعل الإنعام، لأن الإنعام بالهداية فضل كبير يستحق فاعله الحمد والشكر سبحانه وتعالى، ولأن الغضب مآل مستحقيه وخيم والمقام مقام طلب هداية وإنعام، فذكر فاعل الإنعام

---

(١) الآية ١٢٠ من سورة البقرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحذف فاعل الغضب، وللإشارة إلى أن الله سبقت رحمتُه غضبَه.

والمقابلة الموجودة بين (الذين أنعمت عليهم) وبين (المغضوب عليهم) فائدتها الترغيب في اتباع سبيل المؤمنين، والترهيب من اتباع سبيل المجرمين.

***

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خاتمة القراءة

آمين يارب العالمين، استجب لنا، وأجب دعواتنا، نحن المثنين عليك المقرين بربوبيتك وألوهيتك دون سواك المتبرئين من حولهم وطولهم، المستعينين بك وحدك لا شريك لك. . أجب دعواتنا بهدايتنا صراطك المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

تمت بحمد الله الرسالة التي سميتها (قراءة خاشعة لأم القرآن) وأدعو الله عز وجل أن ينفع بها إخواني المسلمين الذين هم على صلاتهم دائمون، لعلهم إذا رفعوا الأكف مستغفرين بالأسحار. . يذكروننني فيستغفرون لي مع من يستغفرون لهم. والحمد لله مُفْتَتَحاً ومُخْتَتَماً. . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

وكتبه الراجي عفو ربه

بهاء الدين بن عبد الوهاب بن ملا أحمد بن عبد الرحمن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

دعاء ٥
فاتحة القراءة ٧
أم القرآن ١١
في رواق اللغة ١٤
المدخل ٢٠
البسملة ٢٢
قراءة الفاتحة ٢٤
خاتمة القراءة ٣٨
الفهرس ٣٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب